

المحاضرة الخامسة

اللغة العربية والتعريب العلمي في السودان
في الحاضر ونظرة إلى المستقبل، قضايا وحلول

الأستاذ الدكتور دفع الله الترابي

رئيس اللجنة العليا للتعريب/ السودان

السبت 24 محرم 1418هـ - 31 أيار 1997م

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين وصلى الله على عبده ورسوله سيدنا محمد
وعلى جميع آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

السلام عليكم أيها الجمع الكريم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد:

فاسمحوا لي في مستهل حديث إليكم أن أزجي وافر الشكر والتقدير إلى مجمع
اللغة العربية الأردني على ما يقوم به عمل رائد وجهود متصلة في خدمة اللسان
العربية وأن أخص بالشكر رئيسه الأستاذ العلامة الدكتور عبدالكريم خليفة على
ريادته لهذا المسعى الحميد، وإنه ليُعدنا في الهيئة العليا للتعريب بالسودان أن
نكون من بين من شارك في محاضرات الموسم الثقافي الخامس عشر لهذا
المجمع.

كذلك أجد لزاماً علي من قبل أن أنصرف إلى موضوع محاضرتي أن أغتتم
فرصة مثولي أمامكم لأعرب لجمعكم الكريم عما يختلج في أفئدة إخوانكم
السودانيين من تقدير عميق وشعور طيب بالمودة والإخاء نحو الأردن الشقيق
ممثلاً في مؤسساته وجماعاته على وقفهم الباسلة مع أهليهم في السودان في
ساعة العسرة.

فالتحية لكم سائلين الله أن يُعزنا وإياكم بالإسلام وينصر عباده الصالحين في
كل مكان، والله غالبٌ على أمره.

أما موضوع محاضرتي فهو كما حدده خطاب الدعوة عن "اللغة العربية
والتعريب الجامعي في السودان - في الحاضر مع نظرة إلى المستقبل".

ولمّا كان هذا الموضوع يحتمل مباحث متشعبة رأيت أن أجعل الحديث في
أمر اللغة العربية مقتصرًا على العوامل التي أدت إلى عروبة السودان ثم أجعل
سائر حديثي من بعد منحصرًا في شأن التعريب الجامعي في السودان في حاضره
مع نظرةٍ إلى مستقبله.

فأقول وبالله التوفيق ،،،،

متى عرف السودان اللغة العربية؟

إن السودان قد عرف اللغة العربية منذ زمن قديم عن طريق هجرات عربية سابقة لدخول الإسلام إليه، فقد جاء خبر ذلك في عددٍ من المصادر الموثوق بها رغم أن كتابات المحدثين عن تاريخ السودان غالباً ما تتجاوز الحديث عن البدايات الأولى لاستعراب السودان، وقد لخص الإداري المؤرخ ماك مايلك في الجزء الأول من كتابه الشهير "تاريخ العرب في السودان" مجمل ما انتهت إليه الدراسات في هذا الشأن بالعبارة التالية - والترجمة بتصرف من عندي:

"لقد أصبح من الحقائق التي لا خلاف عليها أن استيطان العرب المسلمين في السودان أدى إلى تغيير عميق في الأصول العرقية لسكانه الأصليين، بيد أن هذه الحقيقة الأولى لا يجب أن تحجب الحقيقة الثانية التي تتساوى معها في الأهمية وهي أن القبائل العربية كانت منذ زمن بعيد قبل ظهور الإسلام تعبر (من جهة الشرق)، إلى السودان ثم إلى مصر".

فالسفر على شواطئ البحر الأحمر الشرقية والغربية كان في الماضي أمراً ميسوراً بل إن التجار العرب وصلوا في ذلك الزمان الباكر إلى نهر النيل من جهة الشرق، وكانت المنطقة إلى جنوب مصر تعد منطقة اختلاط بين العرب والسكان الأصليين، حيث استق كثير من العرب العابرين عن طريق أريتيريا والبحر الأحمر في السودان لكونه الأقرب إلى طبيعة بلادهم.

ولعل انهيار سد مأرب في الزمان الماضي كان بمثابة الانفجار الكبير الذي فرق القبائل اليمينية أيدى سباً وبعد بين أسفارهم في أيما اتجاه، فمنهم من عبر إلى السودان عن طريق الحبشة، ومنهم من واصل سيره إلى الغرب في أقصى الشمال الإفريقي، كما فعل إفريقيس بن ابرهة ذي المنار وهو الذي غزا السودان من جهة الحبشة وواصل سيره إلى بلاد المغرب ابنتى فيها مدينة إفريقيس التي نسب إليها اسم القارة.

طريق القوافل



ويؤيد كل من السعودي وابن خلدون الرأي القائل بأن قبائل صنهاجة في شمال إفريقيا هي من أصول حميرية.

وفي كتاب "عروبة البربر" لصاحبه محمد علي مادون تفصيل مفيد للهجرات العربية لأرض إفريقية لمن أراد المزيد، هذا وإن الصلة القديمة بين الحبشة وجنوب الجزيرة العربية أمر معلوم للكافة.

ولعل فيما ذكرنا ما يعزز نظرية حديثة للأستاذ الدكتور عبدالله الطيب حيث يقول: إن هجرة المسلمين الأولى من مكة المكرمة إلى أرض الحبشة كانت في حقيقتها هجرة إلى أرض السودان، إذ إن إقليم الحبشة عندئذ كان يمتد حتى الشلال الرابع على نهر النيل الرئيسي شمال الخرطوم، ويدلل الأستاذ الدكتور عبدالله الطيب بشواهد من خبر المهاجرين المسلمين في الأرض التي حلّوا بها، وقد شايح الأستاذ الدكتور عبدالله الطيب في نظريته هذه جماعة بعضهم من تلاميذه، والله أعلم حيث ذلك كان!

الهجرات العربية بعد الإسلام

أمّا موجات الهجرة العربية التي أدت بالفعل إلى عروبة السودان فقد جاء معظمها بعد دخول الإسلام إليه في عهد الخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ثم لما قُتل عمر وتولّى الخلافة عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى بدلاً عنه ابن أبي سرح الذي أرسل ابنه عبدالله إلى السودان غازياً لتنتهي حنتله إلى إقامة عهد بينه وبين رُماة الحدق من ملوك دنقلا في شمال السودان وذلك بعد تناوش، عرف هذا العهد "بمعاهدة البقط" التي أمنت للمسلمين حقهم في الإقامة وممارسة شعائهم وعدم التقرض لهم من حد أرض أسوان شمالاً إلى حد علوة جنوباً.

بعدها توالى هجرات القبائل العربية المسلمة إلى السودان على مر القرون التالية وعبر العهود الإسلامية المختلفة لتستقر القبائل الوافدة على ضفاف النيل، ثم اضطروهم ضيق الأرض إلى التوغل جنوباً في محاذة النيل ثم انتشروا شرقاً إلى أن التحموا بقبائل البجا، ثم اتجهوا إلى أواسط السودان وهناك وجدوا أرضاً واسعة قليلة السكان أجواؤها تضاريسها شبيهة بأحوال الجزيرة العربية وبها من أسباب العيش ما يجعلها خير مستقر لهم، وتواصلت الهجرات العربية متوغلة في السودان جنوباً وغرباً إلى أن صدتهم طبيعة الأرض والمناخ الاستوائي وكثافة السكان من القبائل النيلية من أن يصلوا إلى عمق القارة (في جنوب السودان) أو إلى خط الاستواء فاتجه بعضهم غرباً إلى شمال دار فور وإلى تشاد.

وهكذا تشكلت المنطقة العربية في السودان كما نعرفها اليوم وقامت لهم فيها ممالك وإمارات ودويلات كانت في البداية مستقلة، بعضها عن بعض.

وقد أدى توطن العرب في السودان ومخالطتهم للسكان الأصليين إلى انتشار الإسلام وغلبة اللسان العربي في شمال السودان ووسطه، على أن بعض اللهجات

السودانية القديمة لم تندثر إلى اليوم لا سيّما في المناطق الأقل اختلاطاً بالعناصر العربية.

وفي الحقيقة استمرت الهجرات العربية الكبيرة تصل إلى السودان حتى القرن الثامن عشر، مثل قبائل الرشايدة والزبيدية الذين حلّوا في شرق السودان.

على أنه كانت تصل إلى السودان عن طريق حدوده الغربي جماعاتٌ أخرى من بلاد المغرب ومن بلاد شنقيط في تطوافهم لأجل الدعوة أو في طريقهم إلى الحج، كثيرون من هؤلاء استقروا بالسودان وكونوا أسراً جاليات ظلت معروفة إلى حين أن انصهرت وأصبحت بعضاً من النسيج العربي في السودان.

كذلك جاءت إلى السودان وفادة كبيرة من دول غرب إفريقيا لا سيما من قبائل الهوسا المسلمة من شمال نيجيريا حلّوا في بقاع متفرقة من السودان.

دولة الفنج بالسودان (أو السلطنة الزرقاء)

لعل أهم ما حدث من تطور هويّة السودان وعرويته منذ أن أصبح مهاجر القبائل العربية من جزيرتهم كان قيام دولة الفنج في سنة 1505م حيث خضعت لها المنطقة العربية في السودان بأسرها.

واتخذت دولة الفنج مدينة سنار في وسط السودان عاصمةً لها، وبسطت سلطانها شمالاً إلى حدود مصر.

ولقد انمحت في عهد دولة الفنج آثار المدّ المسيحي الذي سبق إلى السودان لا سيما بعد فتح آخر معقل لسلطان المؤسسة المسيحية بالسودان بسقوط عاصمتهم الجنوبية سوبا التي تقع على مرمى حجر إلى الجنوب من مدينة الخرطوم. لقد كان من أظهر سمات دولة الفنج لسانها العربي والتزامها بالإسلام ديناً وشرعية وسلوكاً.

- فقد انتشرت في عهدها مدارس حفظ القرآن وحلقات تعليم الفقه وكثرت مقامات العلماء والأولياء ممن اشتهروا بالعلم والزهد والصلاح - حتى أصبح يشار إلى عهد الفنج كلّه بعهد الصالحين.

- وقد حوى كتاب الطبقات لود ضيف الله تراجم لعدد كبير من مشاهير العلماء وأهل الكرامات في ذلك العهد، وسادت من السودان من قراءات القرآن رواية الدوري عن أبي عمرو بن أبي العلاء، واشتهر بينهم المذهب المالكي في الفقه والطريقة القادرية بين المتصوفة، واتخذت دولة الفنج لها رواقاً في الأزهر عرف برواق السنّارية، وأقاموا أوقافاً لهم بالمدينة المنورة ورثتها من بعدهم الحكومات السودانية.

- وكانت دولة الفنج على صلة وثيقة بجميع العواصم الإسلامية من حولها.
- وظلت دولة الفنج مستقرة لأكثر من ثلاثمئة سنة حيث زالت دولتهم في سنة 1821م (إحدى وعشرين من القرن التاسع عشر الميلاد) عن طريق الغزو العثماني (التركي المصري).
 - ومن الحقائق التي لا مرأى فيها عندي:
 - إن العروبة والإسلام توطناً في السودان وشكلا قبلته الفكرية وانتماءه الحضاري بفضل الثوابت التي أرسنها دولة الفنج، وهي بحق تعد الدولة العربية المسلمة الأولى في السودان.
 - ومن العجب أن تجد بعض الكتاب والمؤرخين في شك من أصول الفنج ودولتهم ويتساءلون أهم من العرب أم الزنج من القبائل النيلية أم هم من بني أمية الذين هاجروا إلى السودان بعد سقوط دولتهم؟
- بينما أخبار دولة الفنج حية في ذاكرة الأمة وملوكهم معروفون واحداً واحداً بأسمائهم العربية وبأقوالهم وأفعالهم المسنودة بمدونات ومخطوطات، حيث لم يمض على انتهاء دولتهم على يد الغزو العثماني زمن الطويل (انظر: تاريخ السودان لنعيم شقير - تحقيق: أبو سليم، وكتاب السودان عبر القرون لمكي شبيكة).

العهد العثماني

مهما يكن فبعد زوال دولة الفنج سنة إحدى وعشرين من القرن التاسع عشر الميلادي (سنة 1821م) استطاع الحكم العثماني أن يوسع من سلطانه في السودان وأن يمد حدوده جنوباً إلى خط الاستواء وصولاً إلى منابع النيل في البحيرات الاستوائية التي هي الآن جزء من دولة يوغندا.

- وقد مهدت هذه الفتوح إلى وصول اللغة العربية والإسلام إلى جنوب السودان، وإلى شمال يوغندا.

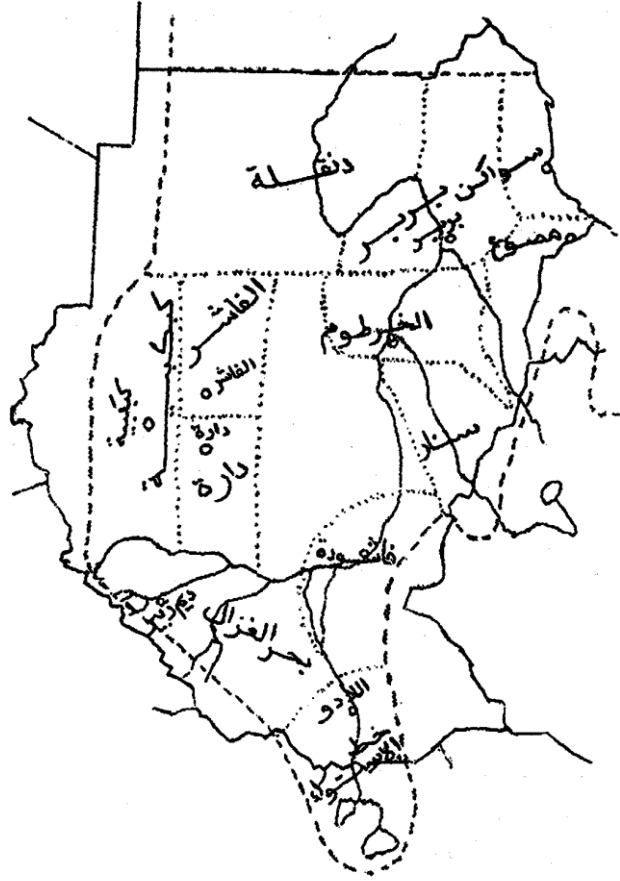
- ولما أن وقعت مصر تحت النفوذ الأجنبي عُيِّنَ غردون باشا المباشِر الإنجليزي حاكماً عاماً على السودان، وجلب هذا معه مستشارين له من أهل ملته وبذلك أصبح الوالي على السودان من غير المسلمين بل من أهل الكبد لهم.

- فلقد استنقر هذا التعيين مشاعر المسلمي وأدى سوء السياسة والإدارة إلى قيام الثور المهديّة في السودان ثم انتصاره في عام 1885م.

- ومرة أخرى عادت الدولة السودانية إسلامية المظهر والمخبر وعربية اللسان ولكن دولة المهديّة شغلت بالحروب والمشكلات الداخلية، والكيد الخارجي الذي أدى إلى زوالها هي أيضاً في سنة 1898م، بوساطة جيوش الغزو الأجنبي (الإنجليزي المصري)، وهكذا دخل السودان في نير الاستعمار الحديث "الإنجليزي فعلاً والإنجليزي المصري حكماً" وهو (أي السودان) عربي اللسان يدين سكانه بالإسلام، باستثناء بعض القبائل النيلية الوثنية في جنوبه وحتى هؤلاء فقد أصبحت اللغة العربية وسيلة للتخاطب فيما بينهم وذلك لتفرد كل قبيلة منهم بلهجاتها الخاصة.

- فماذا صنع الاستعمار بلغة أهل السودان العربية بعد أن استتب له أمر

الحكم؟



مديريات السودان في العهد العثماني

- حدود السودان الحالية
 - - - - - حدود السودان في العهد العثماني
 حدود المديريات

اللغة العربية في عهد الحكم الأجنبي (الحكم الثنائي)

لم يكن للغة العربية حظ كبير في مؤسسات التعليم الحديث التي أنشأتها دولة الحكم الثنائي في السودان مع بداية القرن العشرين، حيث كان الاعتماد على اللغة الإنجليزية بوصفها لغة الحكم الرسمية، فليس عجباً أن استعملت اللغة الإنجليزية لتدريس جميع مناهج المرحلة الثانوية من التعليم العام ما عدا مادتي الدين واللغة العربية، واستمر الحال كذلك إلى نهاية الحكم الأجنبي بعيد منتصف هذا القرن العشرين.

وفي عهد الحكم الثنائي كان العمل في غالب دواوين الدولة مرتبطاً بمعرفة اللغة الإنجليزية التي هيمنت مع طول فترة الاستعمار على كثير من أنواع التعامل وأوجه النشاط التجاري والاقتصادي، كما أخذت تسيطر على بعض منابر الثقافة العامة في البلاد، ثم سن الحكم الثنائي قانون المناطق المقفلة ليحاصر اللغة العربية والدين الإسلامي ويحد من الأثر العروبي في شمال البلاد من أن ينمو ويتقوى في الجنوب، بينما أطلق للكنائس من كل ملة حرية التبشير وإقامة المدارس التنصيرية بدعم مالي يؤخذ في كثير من الأحيان من موارد الشمال المسلم- فتأمل!

كذلك لما قامت بعض مؤسسات التعليم العالي في السودان في الفترة بين الحربين العالميتين اعتمدت اللغة الإنجليزية لغة التدريس لجميع المناهج سوى قلة من التخصصات التي لا سبيل لأدائها بغير اللغة العربية، على أنه كان هناك معهد علم عالي للدراسات الإسلامية، أنشأه نفر من كبار مشايخ الدين في عام 1912م - ليكون على غرار الأزهر - حين أحسوا الخطر على الهوية الإسلامية، وقيم الدين من أن تُضَيَّع تحت النظام التعليمي الجديد، ولكن دولة الحكم الثنائي لم تعارض قيام هذا المعهد كما أنها لم تأبه به كثيراً حيث لم يكن للمتخرجين منه حق

معلوم في العمل بمؤسسات الدولة، وهو المعهد الذي تطور فيما بعد استقلال السودان إلى جامعة أم درمان الإسلامية.

- ورث السودان المستقل في عام 1956م هذه الأوضاع، وسرعان ما عرّبت الحكومات الوطنية دواوين الدولة، كما عرّبت مناهج المرحلة الثانوية في التعليم العام واستردت اللغة العربية مكانتها فيما سوى التعليم العالي الذي ظلت مناهجه جميعها تدرس باللغة الإنجليزية باستثناء أقسام الشريعة واللغة العربية.

ولم يكن السودان بدعا في هذا الشأن بين البلاد العربية إذ إن أكثرها حتى التي لم تقع تحت الحكم الأجنبي المباشر ظلت مؤسسات التعليم العالي فيها تعول في التدريس على اللغة الأجنبية فرنسية كانت أم إنجليزية.

ويستثنى من ذلك سوريا التي التزمت العربية لغة للتعليم العالي منذ عام 1919م عقب انهزام قوى المحور في الحرب العالمية الأولى وذهاب الحكم التركي العثماني عنها.

ولقد شارك السودان على مدى الأربعين سنة الماضية في ملتقيات المجامع العلمية العربية، وفي مؤتمرات التعريب التي عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وتكررت قرارات المؤتمرات وتوصياتها بأن التعويل على اللغة العربية في تدريس العلوم الحديثة فيه منطلق للعقول واستقلال لها من التقليد، وتمكين لها من الإبداع والاختراع، ذلك أن اللغة هي طريقة للتفكير بقدر ما هي وسيلة للتعبير وأن المقلد تابع متخلف، لكن رغم توصيات المؤتمرات بحتمية التعريب فإننا لا نجد انعكاس هذه التوصيات على واقع التعليم العالي إلا في القليل.

حاضر التعليم الجامعي في السودان

في شهر فبراير (شباط) من عام 1990م، أصدرت الدولة السودانية قراراً سياسياً بإلزام جميع مؤسسات التعليم العالي باستعمال اللغة العربية لتدريس المناهج ولم تستثن أحداً.

ورغم أن القرار اتخذ بوعي كامل لواقع التعريب على مستوى العالم العربي وبعد موازنة لإمكانات تطبيقية إلا أن صدوره أحدث دويماً هائلاً بين أساتذة الجامعات وإدارتها واستعظمت طوائف أخرى من عامة المثقفين في السودان.

فقد وضع القرار السياسي حين صدر حداً فاصلاً للجدل العقيم المطول حول قضية التعريب في السودان ونقلها من طور الهم والنظر إلى حيز الفعل والنفوذ، علماً بأنه في محاذاة قضية التعريب كان هنالك حوار دائر في الساحة السودانية بين دعاة التأسيس وطوائف أخرى من الداعين إلى أنواع من المذهبية المتأثرة بمكتسبات فترة الاستعمار من الأفكار الدخيلة.

ومع هذا فقد تركت الدولة لأهل الجامعات كيفية استيعاب هذا القرار في مؤسسات التعليم العالي السودانية.

فأخذ التعريب حظّه من نقاش مستفيض في مؤتمر جامع تبعته ندوات متخصصة حول مستقبل اللغة الأجنبية ومستقبل اللغة العربية في التعليم العالي. وأنشئت الهيئة العليا للتعريب لتكون أداة للتنسيق والمتابعة، وقام لها مجلس مؤلف من مديري الجامعات أو ممثلها بالإضافة إلى عدد من المتخصصين في التعليم العالي واللغة العربية، كما أنشئ في هذه الأثناء مجمع اللغة العربية في السودان (وهو الخامس تأسيساً بين المجمع العربية)، وقام مركز للترجمة الإسلامية بجانب ما كان موجوداً قبلاً في بعض الجامعات من وحدات الترجمة والتعريب، فهذه إذن جملة من المنابر المستحدثة لمساندة هذا التحول الكبير.

من خلال حوار قاصد طور منهج تطبيق التعريب على مؤسسات التعليم العالي بالسودان، ولكن من قبل أن نستعرض من التفصيل معالم منهج التعريب يجدر بنا أن نتعرف على آراء المناهضين له والعقبات التي يرتكزون عليها في دعواهم بعدم تطبيقه أو تأجيله، فهم يشيرون إلى العقبات التالية:

- ١ - عدم توحيد المصطلح العلمي والاختلاف حوله.
- ٢ - التعريب يعزل الدارس عن علوم الغير ومعارفهم والعرب في هذا الزمان ليسوا أهل ريادة علمية لا سيما في علوم التقنية.
- ٣ - ضعف المكتبة العلمية العربية في تخصصات كثيرة.
- ٤ - مصادر العلوم الحديثة موجودة في اللغات الأجنبية فلمَ عدم الأخذ منها مباشرة.

فلنستصحب إذن هذه العقبات ونحن نستعرض أهم معالم منهج التعريب الجامعي في السودان وقضاياها.

معالم منهج التعريب الجامعي بالسودان

1- التدرج في التطبيق

- وهذا أمر قد كان، فلقد بدأ تعريب مناهج السنة الأولى في جميع جامعات السودان في العام الدراسي 1990/1991.

- ثم تصاعد التعريب في المنهاج الدراسي عاماً بعد عاماً، ليكتمل في أربع أو خمس أو ست من السنوات حسب طول المنهاج المقرر لنيل الدرجة في التخصصات المختلفة، وفي هذا التدرج تيسير على الأستاذ والطالب لاستيعاب مقتضيات التحول المنشود.

- ومنذ سنة 96/95 أخذت تتخرج بتوفيق الله الأفواج الأولى من الطلاب الجامعيين الذين تلقوا مجمل دراساتهم باللغة العربية، وذلك في الكليات العلمية والمهنية مثل الهندسة والبيطرة والطب والزراعة وعلوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات وعلوم الأرض، فضلاً عن العلوم الإنسانية مثل الجغرافية والاجتماع والاقتصاد التي كانت تدرس قبلاً باللغة العربية.

- وهكذا فقد بلغت مسيرة التعريب إحدى غاياتها في إحلال اللغة العربية بدلاً عن اللغة الأجنبية لتدريس المناهج الجامعية، على أن مقاصد التعريب تتعدى مجرد مخاطبة الطلاب باللغة العربية في قاعات الدرس، والعبارة في أن يوطن العلم والتقانة الحديثة في الأرض العربية ولنستنبط بها فهماً وإلفاً ومعايشةً وابتكاراً وإبداعاً، كما قال شحادة الخوري.

2- الفصحى الميسرة لغة التدريس

- تقرر أن يلتزم الأساتذة بالفصحى الميسرة في التدريس الجامعي تفادياً للفظ العامي المبتذل أو الحوشي الغريب المستعصي، وذلك أدعى لأن يحترم الطالب العلم الذي يتلقاه كما أنه يرفع من مستوى لغة الكتابة والخطاب لدى الطالب والأستاذ معاً.

3- دراسة مواد في اللغة الأجنبية

تقرر أن يدرس جميع طلبة الجامعة على اختلاف تخصصاتهم أربعة مقررات في اللغة الإنجليزية، بمعدل مقرر في كل عام لأربع سنوات، ليكون من ذلك نافذة على علوم الغير ولتمكينهم من طلب المعلومة في مظانها من المصادر الأجنبية. فلا حجة لمن يقول بأن التعريب يعزل الطالب عن مسارات العلم الحديث على نطاق العالم.

4- دراسة مواد في اللغة العربية

كذلك تقرر أن يدرس الطالب الجامعي أياً كان تخصصه أربعة مقررات في اللغة العربية؛ لتمكينه من التعامل بلغة عربية سليمة في حوار الدرس وعند ممارسته العمل بعد تخرجه، وإلى مثل هذا تشير توصيات مجمع اللغة العربية بالقاهرة في ختام دورته الثالثة والستين لسنة 1997م.

5- الأبقاء على الرموز والصيغ الرياضية على هيئاتها الأجنبية

تقرر الإبقاء على الرموز والصيغ الرياضية على هيئاتها في اللغة الأجنبية تيسيراً على الطالب والأستاذ في هذه المرحلة، وإلى أن تعتاد ألسنتهم على أنواع التعبير العربي العلمي السليم وإلى أن تنشأ بينهم وبين الاصطلاحات الجديدة الإلفة والوثام.

6- لجان التعريب بالجامعات

تقرر أن تُكوّن لجاناً للتعريب في جميع الكليات والأقسام العلمية، وأن تنشأ إدارات للتعريب في كل جامعة يعين لكل منها مدير بدرجة عميد كلية، ويمثل مدير إدارة التعريب جامعته في مجلس الهيئة العليا للتعريب، هنالك إذن خطوط واصله بين الأستاذ والهيئة عبر كليته أو إدارة التعريب بجامعته. والتنسيق أصبح بتوفيق الله قائماً على وجه حسن بين الهيئة وإدارات الجامعات.

قضايا وحلول

لنقف الآن على بعض قضايا التعريب ومشكلاته التي صاحبت تطبيقه في السودان والحلول والوسائل التي اتبعت في معالجتها.

القضية الأولى هي:

1- الأستاذ الجامعي:

لقد كان الأستاذ وليس الطالب هو المشكل الأول في مسألة التعريب في بدايات تطبيقه.

فقد كان خلف ذلك:

- دراساته الجامعية السابقة التي تلقاها جميعاً باللغة الأجنبية.
- محاضراته المصاغة جميعاً من مصادر أجنبية فهو يلقيها على الطالب بذات التعابير والصيغ العلمية التي تلقاها بها ولا تقع عليه مسؤولية في الصياغة أو حجبها.
- خشيتُه من المجهول فهو لم يسبق له أن درس فضلاً على أن يكون قد درّس مادته العلمية باللغة العربية، وهو واثق من تفوقه على الطالب في اللغة الأجنبية بحكم دراساته العليا بالخارج، ويفقده التعريب هذه الميزة.
- هناك طائفة "الرافضة" من الأساتذة المخدّلين لإخوانهم يهولون لهم مشكلات التعريب، وانفراط الأمر عند تطبيقه، وأن الارتداد عنه لا بد آتٍ مستقبلاً.

ولكن القرار السياسي - وتلك هي ميزته- قد حمل الناس على هذا الأمر سواءً، المعارض منهم والمؤيد، وسرعان ما اكتشف كثير من الأساتذة أنفسهم في اللغة العربية وأدركوا أن مقدراتهم الكامنة تتفوق على حقيقة معرفتهم المحدودة في اللغة الأجنبية.

ولقد أكسبهم الفكاك من أسر اللغة الأجنبية تحراً في الفكر وثقّة بالنفس واعتماداً على الذات.

فهاهم اليوم قد أقبلوا على أعمال الترجمة والتأليف بعد مضي ست سنوات فقط من بداية تطبيق التعريب، حيث بلغت جملة مؤلفاتهم المنشورة التي تحت الطبع أو الإعداد مئة وخمسين مصنفاً أو تزيد بينما لم تصدر فيما نعلم عن الأساتذة الجامعيين في السودان كتب في مجالات العلوم الحديثة على مدى الأربعين عاماً الفائتة أي منذ إنشاء الكليات العلمية في السودان، ولئن كان فاتناً شيء مما قد كتبوا فهو بلا ريب لا يبلغ معشار ما قد أنجز في بضع سنوات بعد التعريب.

وليس غير حاجز اللغة من سبب لذلك القصور أو هذا التطور.

ومن حسنات التعريب الظاهرة الباهرة ازدياد معرفة الأساتذة بلغتهم وتفقههم فيها كما أنهم ازدادوا علماً في تخصصاتهم العلمية، فمسؤولية التأليف تستوجب عليهم التدقيق والضبط والإحاطة.

ولقد تحقق من هذا النشر العلمي بعض أهداف التعريب في توطين هذه العلوم في اللغة العربية وتقريب المعرفة العلمية من الكافة وإتاحتها لهم ليأخذ كل منهم حسب حاجته أو طاقته.

وهذه ثمرة لو لم يكن من فائدة للتعريب إلاها لكفته.

ومما تجدر الإشارة إليه أن زاحمت حركة التعريب في السودان تطورات كبيرة أخرى أقلت بأعباء إضافية على أساتذة الجامعات، فقد توسعت الدولة في إنشاء الجامعات حتى بلغ عددها خمسة أضعاف ما كانت عليه قبل التعريب، فهي الآن ثلاثون جامعة غير الكليات الجامعية الأهلية، كذلك ازداد عدد الطلاب المستوعبين في مؤسسات التعليم العالي في كل عام، فمن نحو خمسة آلاف طالب في عام 1989م، إلى أكثر من ثلاثين ألفاً في عام 1996م، وكان على الأساتذة بجانب استجابتهم لمطلوبات التعريب أن يقوموا بإدارات هذه الجامعات كلها والتدريس بها، فانخفضت نسبة الأساتذة إلى الطلاب إلى ما دون المعدلات المتعارف عليها، وتسعى الدولة الآن لتدارك هذا النقص بثتى الوسائل، كما اتخذت تدابير معينة للتقليل من آثار هذه المفارقة على الدراسات الجامعية.

القضية الثانية هي:

المصطلح العلمي - تعريبه وتوحيده:

لا يزال تعريب المصطلح العلمي وتوحيده هو مدار حركة التعريب على امتداد الوطن العربي.

تتعاون عليه مجامع اللغة العربية ومراكز التعريب وهيئاته وتقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعمل كبير في هذا الصدد عن طريق مكتب تنسيق التعريب، وذلك بإصدار المعاجم الموحدة لمصطلحات العلوم في المجالات المختلفة. ولقد شهدت العقود الأخيرة زيادة كبيرة في المنشور من الكتب العلمية وقواميس المصطلحات بحيث شملت هذه المؤلفات مختلف مجالات العلوم الحديثة. وهذه الذخيرة من المعاجم والكتب العلمية هي التي هيأت النجاح لحركة التعريب في السودان.

قد جعلت الهيئة العليا للتعريب في السودان أمر المصطلح العلمي على رأس اهتماماتها ذلك ان الجامعات أصبحت في مواجهة حقيقة مع الحاجة المماثلة للمصطلح المعرب في التدريس.

لذلك أقبلنا على صناعة المعاجم الموحدة للمصطلحات في علوم الأساس والعلوم التطبيقية، وكانت الغاية أن، نوحد اللغة العلمية داخل السودان في الأقل.

- وألزمنا أنفسنا بالأخذ بجميع ما أجمعت عليه المعاجم العربية من مصطلحات حيث لا مجال لقطرية أو شعوبية في شأن اللغة فهي (العربية) لغة القرآن وخزانة قيم الدين والموروث الحضاري كله، وهي من أكبر عناصر توحيد الأمة واجتماعها.

- كذلك ألزمنا أنفسنا بذات المعايير والقواعد التي أقرتها مجامع اللغة العربية لاختيار المصطلح، من تفضيل الكلمة الفصيحة على المعربة، والكلمة الواحدة

على الكلمتين، التي تقبل الاشتقاق على الجامعة إلى آخر ما هو معلوم في هذا الباب.

ولكن حين وقع الاختلاف حول المصطلح في مصادره المختلفة أو متى ما لم نجد ترجمة أو تعريباً لمصطلح بعينه اجتهدنا للأخذ بما نقره أفضل الوجوده لمقابلة المصطلح الغائب أو المختلف عليه، ثم أثبتنا اختيارنا في المعجم الخاص بذلك.

وفي هذا الصدد أصدرنا:

معجم الفيزياء الموحد.

معجم الكيمياء الموحد.

معجم الرياضيات الموحد.

والمعجم الموحد لمصطلحات الحاسوب تحت الطبع

ومعجم علوم الأرض تحت الطبع

والطبعة الثانية من معجم الرياضيات الموحد.

كما أصدرنا معجماً في الاصطلاحات الجامعية العامة التي تدور بين مجالس الجامعة وهيئاتها.

وهناك عدد آخر من المعاجم في مراحل مختلفة من الإعداد.

ولقد هدانا الله لأن نجعل صناعة المعجم شركة بين الهيئة وإحدى الجامعات السودانية ثم يندى على أهل ذلك الفن في كل الجامعات ومراكز البحوث ليشتروا جميعاً في لجان الإعداد والصياغة، فهم إذن ملزمون بعدئذ بالمصطلحات المشمولة في المعجم لأجل التدريس أو التأليف.

وتشارك الهيئة العليا للتعريب في جميع ندوات التعريب وتقدم الدراسات على مشروعات المعاجم التي يبعث بها مكتب تنسيق التعريب بالمغرب توطئة لإجازاتها لاحقاً في مؤتمرات التعريب الجامعة التي تدعو إليها المنظمة.

تعريب المصطلح العلمي وتحيده رهين باستعماله في التدريس فإذا ما التزمت جامعات عربية أخرى بالتعريب فمن المأمول أن يتحقق التوحيد المصطلحي

المطلوب في وقت قصير، ذلك أن الاختلاف القائم الآن حولها إنما هو القليل (الذي لا تزيد نسبته على العشرين في المئة).

ثم إن استعمال المصطلح وتداوله هو الذي يكشف ضعفه أو قوته والمصطلح يتطور بالمراس التداول ويُهجر المفضول منه ليبقى الأصلح وهذه سنة متبعة منذ القدم.

فقد كان يقال لمقابلة المصطلح الأجنبي:

Pendulum - بندول - وتطورت اللفظة إلى - رقاص ثم إلى - نواس

وكذلك في : Computer كمبيوتر تطورت إلى حاسب إلكتروني ثم إلى حاسوب.

وفي المصطلح Spring - قيل عنه ياي - ثم إلى - نابض.

وقديماً كان الأسلاف يقولون أرثماطيقا ثم قالوا علم الحساب، وقالوا ابتداء روطاريقا ثم ترجمت إلى الخطابة.

ذلك كان مذهبهم في حركة الترجمة الأولى في الإسلام فقد تجاوزوا أخطاء المترجمين سواء في اللغة أو المسميات المصطلحية وبعد أن يستوعبوا الأفكار المنقولة يعودون لإصلاح أخطاء النقل في اللغة أو في الإصطلاحات.

وكانت القاعدة ألا يكون المصطلح حبر عثره في حركة نقل العلوم إلى العربية،

وقد أشار إلى مثل ذلك الدكتور جميل الملائكة في محاضرة سابقة لهذا

المجمع.

ومما هو جدير بالملاحظة أن وجود الترادف في مقابلة بعض المصطلحات لا

يضر بالتعريب، فالترادف أمر واقع في اللغات العلمية العالمية فيقولون في

الإنجليزية للهوائي: aerial كما يسمونه antenna.

ويقولون:

Cross girders, transverse beams, floor beams, secondary beams.

"روافد متقاطعة أو عارضات ثانوية أو أعتاب مستعرضة".

فإذا ما قلنا عوز الدم أو نقص الدم أو فقر الدم في مقابلة anemia أنيميا فلا يجب أن يترتب على هذه الترجمات سوء فهم.

فاللغة العربية إصاقية اشتقاقية وإمكانيات التوليد فيها كبيرة جداً ولك في المجاز والتركيب المزجي والنحت والإبدال والقلب والحذف في تعريب اللفظ ما يسعفك بمدد غزير من الألفاظ للتفريق بين المعاني المتقاربة وليس هنا مجالاً للتمثيل لجميع ذلك.

ولكننا وجدنا من خلال الممارسة أنه مما يعين على اختيار المصطلح بجانب شروط الترجمة المعهودة (وهي: المعرفة اللصيقة باللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها والإلمام بالمادة المنقولة وبفنيات تعريب اللفظ) ضرورة أن يضاف عليها شرط آخر، هو "شرط الجماعة".

- فالجماعة من نحو خمسة من المختصين هم أقدر على التحري وأحرى أن يقعوا أو يقع أحدهم وهم مجتمعون على المصطلح المعبر أو الحد الجامع المانع - من ضرور الاجتهادات الفردية.

وكذلك "الاستحسان" فإن له دوراً هاماً في اختيار المصطلح، فكثيراً ما ينفرد الناس من بعض المصطلحات بل قد يستهنونها رغم كونها من الكلم الفصيح، ولقد نفر بعض أطبائنا في السودان نفوراً كبيراً من كلمة "المعثكلة" التي جاءت في المعجم الطبي الحديث لمقابلة لفظة بنكرياس الأجنبية، أثاروا حولها ضجة كبرى وحررت حولها مقالات طوال في الصحافة المحلية.

وزاد الطين بلة كلمة "خمج" وهي أيضاً بالمعجم الطبي الحديث في مقابلة المصطلح الأجنبي Infection وهذه وتلك كادوا بهما أن يزهدوا الناس في المعجم المتفرد الذي أجمع غالب أساتذة الطب في الوطن العربي على كونه المصدر الأساسي لمصطلحات العلوم الطبية.

وبعض الأطباء نجدهم من أشد المناهضين لحركة التعريب، ولعل أن تخفف من غلوائهم مجاهدات هيئة الصحة العالمية لإقليم الشرق الأوسط التي لا تزال ترمي بثقلها من أجل تعريب مناهج الطب في الجامعات العربية قبيل نهاية هذا القرن.

ومما أفدناه... في السودان من تجربة وضع المصطلح عدم التقيد بحرفية النص الأجنبي عند وضع مقابلة، بل يكون التركيز على المدلول العلمي، وهي الترجمة بالمعنى على طريقة حنين بن إسحاق شيخ النقلة في عهد الترجمة الأول، فعلى سبيل المثال نجد هنالك من ترجم المصطلح الأجنبي angel echo بالعبرة "صدى ملائكي" والمراد حقيقة أنه صدى مجهول المصدر فلو قيل في مقابلة angel echo "صدى مبهم" لكان أولى.

ووجدنا أنه للتفريق عند وضع المصطلحات متقاربة المعنى لا بد من استعراض جميع هذه المصطلحات المتقاربة معاً.

فهاذ مثال لعدة مصطلحات متقاربة في المعنى:

Aberration	زيغ
Deviation	حيدان
Translation	انتقال
Displacement	إزاحة
Deformation	تشوه
Distorsion	تشويه

movements	تحركات
Deflection	انزياح، سهم
Changes	تغيرات
Sway	انحراف
Diffraction	حيود
	وهذا مثال آخر من هندسة المياه:
Flow	تدفق، جريان
Flow, steam line	جريان، انسيابي
Flow, steady	جريان مستقر
Flow, unsteady	جريان غير مستقر
Flow, turbulent	جريان مضطرب
Flow, transient	جريان عابر
Flow, sugre	تدفق طامي

مهما يكن فصناعة المعاجم عمل مستمر وبمكّن من تدارك اللفظ المفضول في الطبعات اللاحقة للمعجم لذلك جعلنا في السودان لجنة دائمة من الأوصياء لكل معجم، ليضطلعوا بمراجعته وتحديثه وإعادة طبعه ليواكب حركة العلوم المتطورة.

الكتاب المنهجي المقرر

صعوبات الحصول على الكتاب العلمي المنهجي المعرب لعدد من المواد الدراسية كان من بعض مشكلات التعريب الجامعي في السودان عند بدايته، ولتدارك هذا النقص سعت الجامعات السودانية للحصول على حاجاتها من كتب المناهج من لدى الجامعات السورية والعراقية ذات التجربة الطويلة الممتدة مع قضايا التعريب، وهكذا حصلت جامعات السودان على جزء كبير من كتب المناهج بل حصلت عليها بأسعار رمزية أو عن طريق الإهداء ثم تبارك جامعات السودان في تزويد مكاتبه بالكتب العلمية من جميع المصادر المتاحة.

- وقد لاحظ الأساتذة وقوع الاختلاف بين مجموعات الكتب التي حصلوا عليها من حيث عدم التزام المؤلفين بمصطلحات المعاجم الصادرة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كما أن هناك فروقاً بينها في مستوى الطباعة والإخراج حيث بعضها صدر في طبعات قليلة التكلفة ليكون في متناول الطلاب غير الموسرين.

- فإذا ما أخذت جامعات عربية أخرى بتطبيق التعريب فإن الكتاب العلمي العربي سيجد رواجاً كبيراً، فهو سيصبح متاحاً لمئتي مليون عربي أو قل لجامعاتهم ومتقفيهم، وهذا التفاعل الواسع مع ازدهار سوق الكتب سوف يكون من العوامل التي تؤدي إلى الطفرة العلمية المنشودة إن شاء الله.

- لابن خلدون رأي طريف حول الكتاب الدراسي يحسن الوقوف عنده فهو يقول: "إن كثرة التصانيف مضرّة بالمتعلم"، وذلك من اختلافاتهم في المنهج والبراهين وتفرعاتها مما يشوش على المبتدئين، وعندني أنه بالنسبة لطلاب الدرجة الأولى "أي الإجازة الجامعية" يحسن الالتفاف حول كتب مختارة متدرّجة مع تقدم الطالب في دراسته، أما المتخصصون وطلبة الدراسات العليا الذين يبغون اصطیاد

الشوارد ودقائق النكات فليس عليهم ألا أن يطلعوا على مصادر متعددة وإن اختلفت.

- ويبدو أن طريقة المتقدمين في تدريس النحو أو العلوم الإسلامية مثل الفقه كانت مؤسسة على هذا النهج الذي أشار إليه ابن خلدون.

- لا يزال هذا سعي كثير من الجامعات شرقاً وغرباً بالاعتماد على كتب مقررة لكل مادة في مستوياتها المختلفة، النقطة الجوهرية في هذا الأمر هي التدقيق في تخصيص بعض الكتب المقررة للمواد الدراسية والثبات عليها مع إدخال التعديلات التي تقتضيها طبيعة العلوم الكونية المتطورة.

كتب المراجع والأمهات

المكتبة العلمية العربية في حاجة ماسة للكتب المرجعية الشاملة للأصول في العلوم المختلفة - كما هي بحاجة إلى الموسوعات العلمية التي تواكب تسارع علوم التقنية الحديثة.

وهنا لا بد أن نحمد لمجمع اللغة العربية الأردني عنايته بترجمة عدد من المصادر المعرفية ونشرها، وهي جميعاً على درجة عالية من الجودة في الطباعة والإخراج، ومما يبشر بخير أن عدداً من الجامعات ومراكز التعريب اتجه إلى سد هذه الثغرات بتبني الترجمة لكتب المراجع والموسوعات العلمية وعسى أن يتم تنسيق في هذا الأمر ربما على مستوى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لتفادي تكرار الجهود ولضمان تمويل خاص لتحقيق هذه الغاية.

تقويم تجربة التعريب السودانية

أجرت الهيئة العليا للتعريب في أواخر عام 1996م، تقويماً شاملاً لمسيرة التعريب في مؤسسات التعليم العالي بالسودان منذ الالتزام بمقتضيات القرار السياسي الصادر في شهر فبراير من عام 1990م.

استند التقويم على تقارير وردت من عشرين جامعة سودانية شملت كبرى الجامعات والجامعات الحديثة التي اكتملت الدراسات فيها إلى السنوات النهائية في منهاجها.

وقد حوت التقارير ردود الجامعات على محاور محددة بحيث تمكن من التقويم السليم لحصيلة تجربة التعليم في السودان.

جاءت محاور التقويم كالاتي:

١ - شمول التعريب للمناهج الدراسية في كليات الجامعة وأقسامها المختلفة.

٢ - المشاكل التي واجهت التعريب من حيث:

أ - وضع الأستاذ.

ب - الكتاب الجامعي.

ج - المصطلح العلمي.

د - أي عقبات أخرى.

٣ - تقويم مدى استيعاب الطلاب للعلوم باللغة العربية مقارنة بمستويات الطلاب قبل التعريب.

ثم أجرى مجلس الهيئة نقاشاً واسعاً حول فحوى التقارير واستعراض جميع ما تجتمع لديه من البيانات الأخرى ذات الصلة بهذا التقويم، وخلص إلى نتائج وتوصيات نكتفي منها بخلاصات موجزة على محاور التقويم.

شمول التعريب

أخذ المجلس علماً بأنه قد اكتمل تعريب مناهج الدرجة بالجامعات السودانية جميعها في التخصصات العلمية الآتية:

١ - علوم الأساس: الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء والموارد الطبيعية.

٢ - العلوم التطبيقية: الهندسة والزراعة والطب البيطري وعلوم الأرض.
٣ - علوم الطب:

أ - اكتمل تعريب مناهج الطب في جامعات: الجزيرة وأم درمان الإسلامية وشندي وأعلي النيل وكليتي طب الأسنان والصحة في جامعات الخرطوم.

ب - لم يكتمل تعريب الطب في: كلية الطب بجامعة الخرطوم وكلية الصيدلة بجامعة الخرطوم. حيث اقتصر فيهما على السنة الأولى وبعض المواد في السنوات المتقدمة.

ج - تستعمل اللغتان العربية والإنجليزية في تدريس الطب في جامعتي كردفان والزعيم الأزهري.

4- العلوم الإنسانية: اكتمل تعريب مناهج العلوم الإنسانية في الجامعات السودانية- مثل الاقتصاد والاجتماع والجغرافيا والتاريخ وغيرها.

الجامعات بجنوب السودان

قلة الأساتذة الذين يجيدون اللغة العربية حدّ من شمول التعريب في اثنين من الجامعات الثلاث بجنوب البلاد، مما جعل تطبيق التعريب غير مكتمل فيهما، ومن المأمول أن تمكن التدابير المتخذة من تجاوز عقبات التعريب في هاتين الجامعتين أو في غيرهما في وقت قصير إن شاء الله.

الجامعات والكليات الأهلية

مؤسسة التعليم العالي الأهلية ملزمة هي أيضاً بسياسة التعريب ولقد استجاب العدد الأكبر من هذه المؤسسات استجابة كاملة لقرار التعريب ولكن بعضها لم يلتزم بالتعريب جزئياً أو كلياً لأسباب مختلفة.

المصطلح العلمي

عبّرت الجامعات من خلال تقاريرها عن المصطلح العلمي لم يعد مشكلة تعوق التدريس باللغة العربية لأي من مناهجها.

- وأشارت إلى غير ذلك جامعتان فقط.

- يصح القول بأن مسيرة التعريب في السودان قد تجاوزت مشكلة المصطلح العلمي، وما كان يعزى إليه من عقبات وغرابة أو كونه غير موحد أو غير محكم.

الكتاب المنهجي

أشارت بعض التقارير إلى أن الحاجة ما زالت قائمة إلى تيسير أمر الحصول على العدد المناسب من الكتاب المنهجي في بعض التخصصات، وهذه مسألة تتعلق بحجم الاعتمادات المالية لبند في ميزانيات الجامعات، كما تتعلق بسهولة الحصول على الكتاب المنهجي في المكتبات أو دور النشر المحلية.

الأستاذ الجامعي

عبّر مجلس الهيئة عن إشادته بالدور المبدع الذي قام به أساتذة الجامعات وإدارتها في ترجمة سياسة التعريب إلى واقع ماثل رغم الأعباء الإضافية بسبب اختلال نسبة الأساتذة إلى الطلبة في الجامعات.

- كما تقرر أن تكون من المسؤولية على كل أستاذ جامعي تأهيل نفسه للتدريس باللغة العربية في مجال تخصص.

مدى استيعاب الطلاب للعلوم باللغة العربية

- اجتمعت تقارير الجامعات على أن استيعاب الطلاب للعلوم باللغة العربية فاق بقدر ملحوظ ما كان عليه استيعابهم قبل التعريب.
- وقد انعكس ذلك إيجاباً على نتائج الامتحانات.
- يشير الأساتذة إلى أن التعريب أفضى إلى التمكين من تدريس المادة المقررة في فترة نقل عما هو متاح لها في الجدول الدراسي ما مكنهم من التوسع في محتوى المادة وزيادة التحصيل.
- والنتيجة أن المستويات ترتفع بالتعريب ولا تنخفض به.

أصدر مجلس الهيئة التوصيات التالية من خلال تقويمه لتجربة التعريب:

- ١ - أ- لم يعد هناك مبرر لتدريس أي من مناهج الإجازة الجامعية أو الدبلوم بغير اللغة العربية في جميع مؤسسات التعليم العالي السودانية.
- ب - إن التصديق لإنشاء أي جامعة أو كلية أهلية ينبغي أن يكون مشروطاً بالالتزام الكامل بسياسة التعريب في التدريس.
- ج - ينبغي اتخاذ التدابير اللازمة للتقيد التام بمقتضى قرار التعريب في المؤسسات السودانية القليلة التي لم يكتمل فيها تعريب المناهج.
- ٢ تشجيعاً لحركة التأليف يوصي المجلس بمضاعفة مكافآت الأساتذة على أعمال التأليف والترجمة لسد الحاجة القائمة من كتب المناهج الدراسية.
- ٣ - التقدم بمذكرة للجامعات السودانية في شأن اعتماد الكتب المؤلفة والمترجمة (وفق نصوص لائحة التأليف والنشر التي أعدتها الهيئة مضافاً إليها أية شروط أخرى تضعها الجامعات)، ضمن مفردات البحث

العلمي عند النظر في ترقية أعضاء هيئة التدريس لمرتبتي الأستاذ
والأستاذ المشارك.

التعريب لما بعد المرحلة الجامعية

٤ - يوصي المجلس بأن يتم التنسيق مع الهيئات والجمعيات العلمية
والمؤسسات المهنية في البلاد لاعتماد اللغة العربية في جميع أنواع
التعامل وفي الممارسات المهنية بها.

نظرة إلى المستقبل

1- اكتمال التعريب

لقد اكتمل بفضل الله لتعريب في السودان من حيث إحلال اللغة العربية بدلاً من اللغة الأجنبية في تدريس جميع المناهج الجامعية (الاستثناءات المحدودة في قلة من الجامعات يمكن تداركها في وقت قريب إن شاء الله باتخاذ تدابير مناسبة).
المرحلة القادمة هي مرحلة التجويد والإتقان ورفع الكفاية العلمية في الجامعات والمعاهد العليا.

2- الدراسات الوجب القيام بها لدعم سياسة التعريب والتمكين لها في المستقبل أ- الرموز العلمية

إذا كان تعريب المصطلح العلمي وتوحيده يعد المرتكز الأول في توطين العلم الحديث في اللغة العربية، فإن إحكام كتابة الرموز العلمية والصيغ الرياضية باللغة العربية يعد المرتكز الثاني في مسألة التعريب، إذ من دونه يصبح التعريب عملاً ناقصاً ومبتوراً.

ذلك أن علوم التقانة كالهندسة وعلوم الرياضيات والفيزياء لا سبيل لتعلمها دون أن تستخدم الرموز.

فإذا ظلت الرموز في أشكالها الأجنبية في طيات الكتاب العربي فإن ذلك يحدث تشويشاً على القارئ وتداخلاً مشيناً بين اللغتين دعت مجامع وهيئات عيدة بضرورة التخلص منه.

نصت التوصية السادسة من توصيات الدورة السابعة والخمسين لمجمع القاهرة "بألا تكون كتبنا من جزئين - جزء عربي وجزء أجنبي"، وجاء مثل ذلك في ورقة

للدكتور محمد هيثم الخياط "بضرورة وضع قائمة تشتمل على الرموز والمختصرات بالعربية وهو باب - على حد قوله تمس الحاجة إليه.

ويقول الدكتور محمد عبدالرحمن مرحباً في كتابه "الجامع في تاريخ العلوم عند العرب" إن عدم تطور الرموز عند العرب كان نقصاً خطيراً وكان سبباً مباشراً في عدم تسارع الحركة العلمية عند العرب والمسلمين.

ولقد سبق لي أن أشرت إلى تعريب الرموز في ورقة منشورة في مجلة اللسان العربي من قبل نحو عشرين عاماً في محاولة مني لمعالجة بعض هذه الرموز في اللغة العربية.

ولعل أوسع دراسة حديثة في هذا الشأن هي كتاب "الرموز العلمية وطريقة أدائها في اللغة العربية" الذي أعد له مجمع اللغة العربية الأردني ثم أجازته اتحاد مجامع العربية في عام 1987م.

ولقد أولت الهيئة العليا للتعريب بالسودان أمر الرموز عناية كبيرة ودراسة واسعة مستصحبة في ذلك ما جاء من مقترحات في كتاب الرموز الأردني.

ندعو إلى ضرورة الالتفات إلى أمر الرموز العلمية والصيغ الرياضية وكيفية أدائها في اللغة العربية وإلى عقد جولة أخرى من التداول حولها.

وبما أن الرموز الأساسية محدودة العدد ويمكن جمعها مع شروحها في كتاب واحد من الحجم المتوسط فمن المأمول الوصول إلى درجة عالية من الوفاق حولها.

ب- المختصرات

هي ضرب من الاختصار للعبارة الطويلة أو للعناوين المتكونة من كلمات متعددة وهي لا تدخل عادة في الصيغ الرياضية.

ولقد يجد المتأمل في صياغات بعض المختصرات الحديثة شيئاً من مظاهر العجمة وذلك منذ أن جعل الناس ينحتون هذه المختصرات من جمع الحروف الأولى من كلمات العبارة أو العنوان المرجو اختصاره.

فإذا ما قرأت بعدئذ الكلمات المولدة بهذه الطريقة لأسماء الشركات أو المؤسسات أو الهيئات لقلت إنها لا تمت إلى كلام العرب في شيء.

فالنحت غير طيِّع إلا للذواقة من العرب المفطرين، ومن المنحوت المستساغ قولك: بسملة وحوقلة وعبشمي ذلك في القديم وحديثاً في قولك لوحدة الزاوية نصف القطرة نقيّة.

أمّا ماسبيو واكتومايو وسونا ومثيلاتها من المسميات التي ظهرت في عهد سابق بالسودان فهي في تقديرنا من النحت المستقل غير المستساغ، ومن أشع النحت ما أصابنا من إلحاق المقطع كو بالمختصرات، كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد توفيق الرخاوي، فأصبح لدينا كما يقول من أسماء الشركات عصامكو وصادقكو، ولك أن تضيف إلى ذلك أرامكو، وآيسسكو وأليكسو وإن شئت يونسكو ومثيلاتها.

يضاف إلى ذلك الجمع بين الحروف المتنافرة في الكلمة المولدة كتتابع الدال والزاي والجمع بين الصاد والجيم، والقاف والجيم في الكلمة المولدة.

ولقد استنقل بعض العلميين الاختصارات من أنواع التركيب المزجي مثل كهرومغناطيسية وفضلوا عليها كهربية مغناطيسية.

واستساغوا نحو برمائي ولا مائي ولاسلكي واللامركزية ومثيلاتها وذلك لخفتها.

موضوع المختصرات يحتاج إلى عناية خاصة من مجامع اللغة العربية لإصلاح شأنها.

ج- هناك دراسات متممة أو مكملّة للتعريب نذكر منها

1- نظم نقل أسماء الأعلام من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية وبالعكس حيث يرحى الالتفاف حول نظام يُلتزم به في جميع البلاد العربية، وذلك لتيسير التدوين والاسترجاع في المصادر العلمية العربية.

وقد أصدرت الهيئة العليا للتعريب ورقة في هذا المبحث في مؤتمر التعريب السابع الذي عقد بالخرطوم في يناير/ فبراير 1994م.

2- توحيد نظام المقاييس والمكاييل والموازن لتيسير تبادل الكتب الجامعية بين بلد وآخر.

3- العمل على توحيد الموصفات بين البلاد العربية لتشجيع أنواع التعامل والتبادل الصناعي والسلي في ما بينها.

4- تشجيع الجمعيات العلمية والمؤسسات المهنية لعقد الندوات والمؤتمرات للمتخصصين في البلاد العربية لنشر المعرفة العلمية بينهم بما يفضي إلى توحيد المصطلحات وبنها وإشاعتها على أوسع نطاق بين أهل هذه التخصصات.

5- العمل على تشجيع النشر العلمي، بكتابة البحوث وإصدار المجلات العلمية باللغة العربية وبترجمة الكتب العلمية النافعة والكتب الأمهات والتنسيق في ذلك بين مجامع اللغة ومراكز التعريب وهيئاته.

إن تحقيق مشروع التعريب هو المدخل لجعل اللغة العربية لغة عالمية للتدريس والبحث العلمي وهو الطريق إلى تحرير الفكر وإذكاء روح الإبداع وتوطين العلوم الكونية الحديثة في لغة الأمة، فاللغة العربية هي أصرة العروبة وعروتها وخزانة الموروث الحضاري ووعاء أصول الدين ومنبع ثقافتنا وحضارتنا المشتركة.

نسأل الله التوفيق إلى تمام هذا الأمر على وجه يرضيه وتعزُّ به الأمة ويعلو به شأنها في العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

ثبت المراجع

- 1- تاريخ السودان
نعوم شقير - تحقيق: د. محمد إبراهيم أبو سليم دار الجيل - بيروت، 1981م .
- 2- السودان عبر القرون
مكي شببكية- دار الجيل- بيروت، 1991.
- 3- History of The Arabs in the Sudan Vol. 1.
Harold A. Mac Miceal
مطبعة جامعة كمبردج- إنجلترا، 1992م.
- 4- عروبة البربر
محمد علي مادون -المركز العربي للترجمة والتأليف والنشر- دمشق 1992م.
- 5- مرود الذهب (الجزء الأول)
أبو الحسن المسعودي -دار الأندلس- بيروت، 1984م.
- 6- مقدمة ابن خلدون
دار الأندلس - بيروت، 1984م.
- 7- نحو التعريب- في مجال العلوم والتكنولوجيا
عبدالرحمن محمد بن خلدون- دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت، 1981م.
- 8- الصعوبات المفتعلة على درب التعريب
دفع الله عبدالله الترابي- مجلة اللسان العربي- المجلد الرابع عشر ج1.
مكتب تنسيق التعريب- الرباط، 1976م.
- 9- الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، ط2
ميل الملائكة- محاضرة منشورة.
محمد عبدالرحمن مرحبا- منشورات عويدات- بيروت، 1982م.
- 10- الرموز العلمية وطريقة أدائها باللغة العربية
اتحاد مجامع اللغة العربية، 1987م، جامعة الدول العربية.
- 11- تعليم العلوم الصحية والطبية باللغة العربية
منظمة الصحة العالمية- المكتب الإقليمي للشرق الأوسط- الإسكندرية، 1991م.
- 12- توصيات مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الدورة الثالثة والستين- القاهرة، 1997م.
- 13- الرموز العلمية في اللغة العربية وأثرها في التعريب
دفع الله عبدالله الترابي- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، 1996م.

- 14- المعجم الطبي الموحد (ط3)
منظمة الصحة العالمية- المكتب الإقليمي للشرق الأوسط- الإسكندرية- سويسرا، 1983م.
- 15- مجلة التعريب العدد الخامس
المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 1993م.
- 16- عناصر التعريب وقصبيتنا الحضارية
محمد توفيق الرخاوي- مقال منشور بجريدة مصرية، 1996م.
- 17- المصطلحات الطبية الموحدة
محمد هيثم الخياط- محاضرة في الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني، 1989م.
- 18- توصيات مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الدورة السابعة والخمسون- القاهرة، 1992م.
- 19- تقويم مسيرة التعريب في السودان (1991-1996م)
الهيئة العليا للتعريب- الخرطوم، 1997.